ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

عملية اليمن.. ثلاثة عناصر تجعلها مختلفة وإعجازية

علي الدرواني

في الساعات الأولى من صباح الخميس تم تنفيذ عمليتين عسكريتين متقابلتين بين صنعاء وكيان العدو «الإسرائيلي»، الأولى بوصول صاروخين باليستيين يمنيين إلى عمق الكيان الصهيوني، استهدفا هدفين عسكريين، والثانية عدوان «إسرائيلي» على أهداف البنية التحتية المدنية، خاصة محطات كهرباء صنعاء وموانىء الحديدة.

تبدو عملية القوات المسلحة التي وضعها العميد يحيى سريع، في بيانه التوضيحي، في إطار إسناد غزة ودعم مقاومتها كما هي العادة، أيضاً لا تزال في مستوى المرحلة الخامسة للعمليات اليمنية لهذا الإسناد، ولكنها مختلفة لعدة اعتبارات.

الأول، وهو الأمر الجديد في عملية اليوم والمتمثل بكونها ضربة استباقية، حيث وصل الصاروخ الثاني إلى قلب الكيان في أثناء تحرك طائرات العدو، لشن عدوانها على صنعاء والحديدة، الأمر الذي أعاق تنفيذ العملية وأربكها، كما أكد على ذلك السيد القائد عبد الملك الحوثي حفظه الله، بما يحمله هذا من تأكيد على أن القوات المسلحة اليمنية باتت تمتلك قدرة استخباراتية لمعرفة تحركات العدو بتوقيتها الدقيق، وهذا له قيمة كبيرة في المعركة مع هذا العدو بالتحديد.

هذه الميزة التي استعرضتها القوات المسلحة يقابلها ضعف استخباري للعدو، وقد نشرت صحيفة «يديعوت أحرنوت» مقالاً لمعلق الشؤون العسكرية رون بن يشاي، أكد أن الكيان ليس لديه معلومات استخباراتية عن اليمن، وكذلك الحال بالنسبة للأمريكي حسب «يشاي» الذي استنتج في مقاله، أن ذلك إلى جانب المسافة يجعل من الضروري التغلب عليها، وهي أسباب لعدم وجود الردع في المعادلة بين اليمن والكيان، ويقر الكاتب في ذات السياق، بأن جمع المعلومات الاستخبارية في ظل هذه المسافات يتطلب جهداً كبيراً، و حسب «بن يشاي» أيضًا، يبدو أن الأميركيين لا يرغبون في القيام به، فيما لدى «إسرائيل» موارد محدودة.

إلا أن الحقيقة هي أن أمريكا فقدت قدراتها الاستخباراتية في اليمن، بعمليات أمنية يمنية متوالية كُشف عنها في أوقات سابقة.

وكعملية استباقية، فهي المرة الثانية التي تنفذ القوات المسلحة اليمنية عملية استباقية، كانت الأولى ضد حاملة الطائرات الأمريكية «لنكولن» عندما حاولت الاقتراب من خليج عدن، ونتج عنها انسحاب مذل لـ«لنكولن» إلى غير رجعة.

الاعتبار الثاني، هو أن العملية تمت بعد ادعاء واشنطن أن غارتها العدوانية الأخيرة على مقر وزارة الدفاع في مجمع العرضي في صنعاء، قضى على غرفة عمليات تدير الضربات اليمنية مثل عمليات البحر الأحمر، وتأتي عملية اليوم لتنفي تلك المزاعم، وترسخ حالة الفشل التي تعيشها البحرية الأمريكية والبريطانية طوال عام، وصفها قائد قوات الأسطول الخامس الأمريكي الأدميرال «داريل كوديل»، بأنها (ليست في وضع جيد)، ويزداد هذا الفشل في الرصد والتنبؤ والاعتراض أيضاً، إذا أخذنا بعين الاعتبار وصول رابع حاملة طائرات أمريكية إلى البحر الأحمر، بعد فرار ثلاث قبلها، هي «آيزنهاور»، و«روزفيلت»، و«إبراهام لنكولن»، والرابعة التي لن تكون أحسن حظاً، الحاملة «هاري ترومان».

ثالثاً، أن العملية استهدفت مقر وزارة الحرب الصهيونية، كأنها ترد على استهداف وزارة الدفاع اليمنية، في مجمع العرضي، بالإضافة إلى ما تعنيه من حيث اختيار أهداف أكثر حساسية، وكذلك فقد جاءت في ظل أجواء الترقب والتصريحات العنترية من واشنطن و«تل أبيب»، بالاستعداد لضربة كبيرة، ترجمتها بعض وسائل الإعلام بالقاضية، واستبشر بها تحالف العدوان ومرتزقته لتغيير سلبي عسكري في اليمن. بالتأكيد فقد أصيبت تلك «البروباغندا» بحالة من اليأس العميق والمتراكم، حيث تمخضت تلك الحملة الإعلامية عن أكبر فضيحة لجميع الأعداء، رغم تنفيذها بعشرات الطائرات الحربية، والاستعدادات لتنفيذها على مدى أسابيع مضت.

تحت هذا العنوان، يبرز فشل تلك الدعاية في خلق حالة من القلق والرعب لوقف إسناد غزة، وانعاكسها في حالة من الإرادة والتصميم والإعجاز، مجتمعة معاً، وفاء وإنسانية وإيماناً بمظلومية الشعب الفلسطيني ووحشية العدو الصهيوني المجرم المدعوم بشكل كامل من الغرب بقيادة واشنطن.

هنا، يجب الإشارة إلى أن هذه العملية كانت من أهم العمليات ضد العدو «الإسرائيلي» للاعتبارات المذكورة سابقاً، وأيضًا هي تحمل رسالة للأمة، داعمة لرسالة المقاومة في غزة التي أطلقتها حماس للأمة الإسلامية بضرورة إنشاء جبهة إسناد واسعة لغزة لإنقاذ أهلها ونسائها وأطفالها، من وحشية العدو المجرم الذي يتنافس قادته ووحدات جيشه على ارتكاب المجازر والمذابح بصلاحية واسعة لا سقف لها، في ظل حالة التخاذل الرهيبة من الأمة، فهل آن للأمة أن تصحو؟!.

غزة مثال للبطولة

لا مجال للجدال في تقدير حجم الظروف المأساوية التي يعيشها الشعب الفلسطيني في غزة، حيث الجوع والبرد والمرض تحديات تفتك بالأرواح بمثل ما تفعل الضربات المتوحشة الإجرامية لجيش الاحتلال، لكن الصمود

والثبات في الأرض هو الجواب الذي لا يتغير، ورفض الاستسلام والانقلاب على المقاومة لسان حال الناس.

في هذا المناخ يعمل شباب المقاومة، وتتقدم صفوفهم كتائب عز الدين القسام وسرايا القدس، ويفاجئون الاحتلال بأنماط من الابتكار والتجديد في أنواع العمليات وتقنياتها، وكأننا أمام مدرسة في التخطيط تشعر بالثقة والاطمئنان الى قدراتها وقياداتها وبنيتها وثقة الناس بها.

تجربة غزة صارت مدرسة حقيقية، وبالأمس كان نموذج جديد للبطولة مع عملية نوعية للمقاومة في جباليا المدمرة والمحاصرة، حيث نجح أحد الشبان بطعن جندي واستولى على سلاحه ثم واجه به ثلاثة جنود آخرين وأرداهم من المسافة صفر، وكل ذلك في ثوانٍ قليلة.

المشهد الذي نراه في غزة سوف نرى نتائجه بعد وقف إطلاق النار، حيث توحش الاحتلال وإجرامه رصيد لمزيد من يقين الشعب بصواب رهانه على خيار المقاومة، وهذه المرة لن تحتاج المقاومة الى خطوط إمداد لامتلاك القوة وقد نجحت خلال سنوات بجعل أهم مستودعات سلاحها في عقول أبنائها، الذي يستطيعون تحويل القذائف الإسرائيلية غير المنفجرة وشظايا الصواريخ التي تفجرت إلى مواد يعاد استخدامها في تصنيع القذائف والصواريخ والعبوات، والمقاومة نفسها تطوّر وتصنع طائراتها المسيّرة.

غزة الخارجة من الحرب مصدر إشعاع على سائر أنحاء فلسطين، وأول الإشعاع في الضفة الغربية حيث لن تجدي محاولات التضييق والتنسيق مع الاحتلال، فقد تجاوز الفلسطينيون أوهام التفاوض ورهانات المهادنة، وسوف يحمل الأسرى القادة المفرج عنهم خبراتهم وقد أسسوا مدرسة أخرى في السجون.

فلسطين بعد الطوفان مرحلة جديدة من البطولة والبسالة.

البناء

نزوح الألم والصمود

سارة طالب السهيل

في خضمّ الأحداث التي تعصف بعالمنا اليوم، نجد أنفسنا أمام مشهد إنساني مؤلم يتجلّى في معاناة النازحين. هؤلاء الأشخاص الذين فقدوا منازلهم، وأحبّاءهم، وأحلامهم، وأصبحوا مجرد أرقام في تقارير الإغاثة، بينما هم في الحقيقة قصص إنسانية تستحق أن تُروى.

تخيّلوا للحظة، أنكم تُجبرون على ترك كلّ ما تعرفونه، كلّ ما تحبّونه، وأنتم تسيرون نحو المجهول، تحملون في قلوبكم آلام الفراق وأحلام العودة. إنهم أطفالٌ لم يعرفوا معنى الأمان، ونساءٌ يحملن في قلوبهن أعباءً ثقيلة، ورجالٌ فقدوا كلّ شيء، لكنهم لا يزالون يحملون الأمل.

إنّ واجبنا اليوم هو أن نرفع أصواتنا من أجل هؤلاء النازحين، لنكون صوتهم في زمن الصمت. لنُظهر لهم أنّ الإنسانية لا تزال موجودة، وأنّ الإصرار لا يزال ينبض في قلوبنا. لنقف جميعاً معاً، لنضيء دروبهم بالحب والدعم، ولنعمل على إعادة بناء ما دمّرته الحروب والصراعات.

دعونا نكون نوراً في ظلامهم، ولنجعل من هذه اللحظة بداية جديدة، حيث نؤكد إنسانيتنا المشتركة، ونُظهر للعالم أنّ الأمل لا يزال حياً، وأنّ التضامن هو السلاح الأقوى في مواجهة المعاناة.

فلنقف معاً، ولنجعل أصواتنا ترتفع، ولنجعل قلوبنا تتوحد من أجل النازحين، لنُظهر لهم أننا لن ننسى، وأننا سنظلّ معهم حتى يعود الحق إلى نصابه.

النزوح، كلمة تجسّد الألم والحزن والفراق. عندما نتحدّث عن النازحين، نحن نتحدّث عن أناس تركوا وراءهم بيوتهم وأحلامهم وذكرياتهم. نتحدّث عن أطفال حملوا على أكتافهم أعباء الحروب، وعن أمهات فقدن الأمل في عيون أبنائهن، وعن رجال تركوا وراءهم كلّ ما بنوه من أجل البحث عن أمان مفقود. هؤلاء الناس ليسوا مجرد أرقام في تقارير الأخبار، بل هم حكايات حية، لكل واحدة منها وجع خاص وأمل بالعودة إلى الديار.

في ذاك الجنوب اللبناني، لم تكن الأشهر الماضية الأخيرة أول مرة. فقد اعتاد الجنوبيون النزوح والصمود والمقاومة، فكيف لا وهم أهل الكرامة الذين لم تدنس مبادئهم، ولم تحدث ثوابتهم مع موجات السقوط الأخلاقي والقيمي التي أصبحت "ترند" وموضة هذا العصر؟ نجد النازحين من جنوب لبنان الذين واجهوا صعاباً لا تُحصى. الهجمات والاحتلالات المتكررة التي أجبرت الآلاف على ترك منازلهم مراراً وتكراراً. وفي كلّ مرة كانوا يتركون خلفهم بيوتاً تهدّمت وشهداء سقت الأرض دماء طاهرة وعناوين للثبات والعبر. فاختاروا الصمود رغم معاناة الفراق عن أرضهم وأحيائهم وذكرياتهم وأحبائهم.

هذا النزوح القاسي خلق ذكريات جديدة لدى كلّ عائلة، حكايات ويوميات من الصمود والمعاناة. هؤلاء الأعزاء في بيوتهم الكرام بين قومهم اضطرّ بعضهم للعيش بعيداً عن أسرهم وحياتهم ورزقهم وأرضهم وزرعهم وحتى حيواناتهم الأليفة.

تركوا غصون الزنبق تبكي أهل الدار، والدار يبكي شجر النوار، وصوت جوليا بطرس الذي يصدح:

عابَ مجدَكَ بالمذلّة والهزائم
حينما هبّ الجنوبُ لكي يقاوم
إنّ تاريخ الإباء غيرُ نائم
يكتبُ عن أرضِنا أرض الملاحم
إنّ أهل العزم إنْ تدعى العزائم
هذا سيفي بالوغى بالموتِ قائم
إنّ شعبي كلّهُ وطنٌ مقاوِم
ما ارتضى غيرَ المعزّةِ والمكارم
ما ركنّا للمذلّةِ لم نساوِم
وانتصرنا رغمَ عُدوان المُهاجِم

فليرى الأحرارُ يا كلّ العواصم
كيفَ يغدو المجدُ في الأوطانِ دائم

هذا العدو الغاشم الذي يناصره الغرب، ويصفق له العالم، ويشجعه الخبثاء الذين هم نصف الكون، ويمدّه بالعتاد والسلاح والذخائر والآليات، أقوى ٨ دول وبالخفاء باقي الدول الغربية، والذي يمتلك أعلى درجات التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي والتجسّس، هاجم لبنان تحديداً، وبالطبع غزة، بكلّ ما يمتلك وبكلّ ما شحذ وأخذ واستعان.

ولكنه هُزم وسيُهزم. وأول هزيمة وأعظمها هزيمة الأخلاق والدين والإنسانية والقيم والمبادئ والعدل والحق. فهم الذين هدموا البيوت، وقتلوا الآمنين والمدنيين والأطفال، وتهجّروا الناس من مواطنها، وجعلوا منهم مهجّرين ونازحين، فكيف سيسامحهم اللّه؟

مثلهم مثل إخوانهم النازحين من فلسطين وغزة وسورية وما مر به العراق سابقاً. القصة تتكرّر مع النازحين هؤلاء الناس تحمّلوا عقوداً من الصراع والعنف. في فلسطين وغزة، حيث يعيش الناس تحت الحصار والقصف، مما يجعل الحياة اليومية كابوساً مستمراً. في سورية، أجبرت الحرب الملايين على ترك منازلهم، حيث يواجهون ظروفاً معيشية صعبة في مخيمات اللاجئين. في العراق سابقاً، عانى الناس من حروب متعددة من غزو وهجوم المنظمات الإرهابية، مما أدى إلى نزوح أعداد هائلة من السكان. هؤلاء النازحون كانوا يواجهون مشاكل مشابهة، مثل فقدان الأحباب، والهدم، والفقر، والاضطرابات النفسية التي تأتي مع النزوح المستمر وعدم الاستقرار.

هذه التجارب تركت آثاراً نفسية عميقة على الأطفال والكبار، حيث أصبح الحزن والقلق والخوف جزءاً من حياتهم اليومية. إلى جانب المشاكل النفسية، واجه النازحون مشاكل مالية كبيرة، حيث فقدوا مصادر رزقهم، وواجهوا صعوبات في إيجاد عمل جديد في مناطق اللجوء.

نزوح الأطفال هو أحد أكثر الجوانب المؤلمة لهذه الحكاية. هؤلاء الأطفال يكبرون في بيئات مليئة بالخوف وعدم الاستقرار. يعانون اضطرابات نفسية، مثل القلق والاكتئاب، ويواجهون صعوبات في التأقلم مع الحياة الجديدة. النزوح يعطل تعليمهم، حيث يفتقدون إلى المدارس المناسبة والبيئة المستقرة للدراسة. كما أنّ الأثر النفسي للنزوح ينعكس على تربيتهم وتطورهم العاطفي والاجتماعي، حيث يكبرون وهم يحملون تجارب مريرة لا يمكن نسيانها. هم لن ينسوا تلك المشاهد التي رسخت في ذاكرتهم، وتحوّلت إلى مشاعر غضب حيث كانوا وحدهم في الميدان.

هؤلاء الأطفال يعيشون في عالم مليء بالاضطراب، لكنهم متمسكون بالحياة، ويحبّون أرضهم رغم كلّ ما يحدث حولهم.

ومن المؤلم أيضاً أنّ الفتيات الصغيرات حملن معهن حيواناتهم الأليفة، التي عانت معهن من عذاب الترحال والنزوح. تلك الحيوانات التي نجت من الموت بالصواريخ والقذائف، ولكنها رافقت أصحابها في مسيرة التهجير والشتات، وقد رأيت في عيون تلك القطط والكلاب الأليفة ما تعجز الكلمات عن وصفه فكأنّ عيونها تصف حالنا جمعيها كعرب. أما وجوه الدمى التي تحتضنها الأطفال في مسيرة النزوح، ذات الوجوه الجميلة التي يكسوها الصفار، واستوطن عينيها الذهول، تعكس مشاعر الخوف والدهشة مما يجري حولهم.

من بين كلّ هذا الألم، يبقى الحزن على فقدان الأحباب هو الأكثر مرارة. النازحون فقدوا أقاربهم وأصدقاءهم في الحروب والنزاعات، وترك هذا الفقدان جروحاً عميقة في قلوبهم. الذكريات الجميلة التي تجمعهم مع أحبابهم تصبح ذكريات مؤلمة تذكرهم بما فقدوه.

إنه جرح عميق في جسد الإنسانية. وقصص من الألم والصمود، وحكايات من الفراق والحزن. لكن في كلّ هذه الحكايات، نجد أيضاً أمثلة على القوة والأمل. النازحون يعلموننا أنّ الإنسان يمكن أن يقاوم ويصمد حتى في أصعب الظروف. هم رمز للأمل الذي لا يموت، والعزيمة التي لا تنكسر.